

النبط

تاريخهم:

النبط شعب عربي أسس في القرون الأخيرة السابقة على ميلاد المسيح مملكة على أنقاض المملكة الأدومية في شمال البلاد العربية وجنوب فلسطين وبلاد الشام.

وكانت حاضرتهم الشمالية (سلع) وهي واقعة في وادي موسى بالقرب من معان، ونحن نجهل اسمها النبطي، إذ إننا لم نجده في نقوشهم التي وجدت حتى اليوم، غير أن اليونان والرومان كانوا يطلقون عليها اسم PETRA أى الصخرة، ومن المحتمل أن النبط باسمها القديم هسيلع Hasele أى الصخرة الوارد في التوراة لموضع في بلاد أدونيم جنوب القدس، وعندهم ترجم اليونان والرومان هذا الاسم إلى Petra.

يقول استرابون الجغرافي اليوناني القديم مايلي:

وعاصمة النبط بطرا أى الصخرة كما تسمى... إلخ (Strabo ترجمة Jones الإنجليزية. The Loeb Classical Library مجلد ٧ ص ٣٥١) ومن هذه العبارة يتبين أنها كانت تسمى باسم الصخرة هسيلع وترجم اليونان هذا الاسم إلى Petra.

وكانت عاصمتهم الجنوبية الحجر وتعرف الآن باسم مدائن صالح وهي واقعة على سكة حديد الحجاز بشمال بلاد العرب.

ولا يعرف العلماء شيئاً عن تاريخ النبط قبل العصر الهيليني، ويقول المستشرق الإنجليزى Cooke فى كتابه: North Semite Inscriptions. ص ٢١٥ ما يلى:
إنه من المحتمل أن كلمة Na-ba-ai-ti. التى كانت تطلق على قبائل عربية فى: The Rassam Calinder of Assur banipal.

فى: Keilinschriftliche Bibliothek

مجلد ٢ ص ٢١٦-٢٢٢ تعنى الشعب النبطى وفى العصر الهيلينى نرى النبط لأول مرة على مسرح التاريخ فى عهد أنتيجون فى ٣١٢ ق.م. حيث يروى ديودور الصقلى فى أخباره أن أنتيجون أرسل حملتين لتأديب النبط، كما يحدثنا أيضاً عن مقاومة جيش نبطى مؤلف من عشرة آلاف جندى لجيوش أنتيجون.

ونجد فى القرن الثانى ق.م. تلك القبائل البدوية التى كانت تعيش فى ناحية سلع (بطرا)، كما يحدثنا ديودور أيضاً أن تلك القبائل قد اتحدت وأنشأت مدناً وقرى وأسست مملكة ديمقراطية على أنقاض المملكة الأدومية يحكمها ملك ديمقراطى.

وأول ملك نبطى يعرفه التاريخ هو حارثة الأول، وقد حكم فى سنة ١٦٩ ق.م. وهو الذى لجأ إليه Jasn لأن النبط كانوا أصدقاء لأسرة المكابيم (كتاب Cooke ص ١٦) وتولى الملك بعد ذلك Erotimus (هرثمه أو هرثم) وقد حكم من سنة ١٣٩-١٠٠ ق.م. وهو يعدّ المؤسس الحقيقى للدولة النبطية، وقد قام بعدة غزوات فى سوريا ومصر لبيسط نفوذه عليهما وقد اشتبك فى الحرب مع Kyzibenos و Antochos Grypos و كليوباترا وبطليموس Lathuros.

وقد بلغت المملكة النبطية فى عهده مبلغاً من القوة أخاف اليهود وبقية الأمم المجاورة حتى أهل روما، فقد خشيت على مستعمراتها فى الشرق أن تبتلعها هذه الدولة الفتية، فعملت على مناهضتها والحد من سلطانها، وابتدأت المنازعات بينها،

فأخذ النبط يغيرون على المستعمرات الرومانية ويستولون عليها، ففي سنة ٨٥ ق.م. أغار حارثة الثالث ملك النبط على سوريا واستولى على دمشق وصكَّ فيها عملةً باسمه، غير أن عاهل الرومان يومئذ سرعان ما انتزعها منه وأعادها إلى الإمبراطورية الرومانية.

وفي سنة ٢٣ ق.م. انتزع أغسطس قيصر الرومان من النبط، Auranitis، و Trachonitis و Patanaea وهي مقاطعات في جنوب سوريا وشرق الأردن ومنحها إلى صديقه هيرود العظيم ملك اليهود، وذلك في حكم عبدت الثالث ملك النبط.

وفي سنة ٩ ق.م. تولى حارثة الرابع على عرش النبط وكان محبوباً لدى أغسطس أثيراً عنده فهدأت المنازعات وحسنت العلاقات بينها حتى إنه أذن للرومان بوضع حامية رومانية في المدينة النبطية Leuke Kome (المدينة البيضاء) لصد هجمات البدو الموجهة إلى الحدود المصرية، وقد ساعد أغسطس في الحملات التي قام بها القائد الروماني Gallus لغزو بلاد اليمن إذ أرسل إليه سُلّي وزيره المشهور ليكون دليل الحملة، وزوّده بألف جندي نبطي، غير أن سُلّي خدع القائد الروماني إيلوس جالوس لمطامع في نفسه، وسار بالحملة في طرق وعرة غير مطروقة فهلك معظم الجيش وباءت الحملة بالفشل فلاقى سُلّي جزاءه في روما حيث شقّ هناك (استرايون. الترجمة الإنجليزية مجلد ٧ ص ٣٥١).

وحسنت العلاقات بين حارثة الرابع وبين المملكة اليهودية، واستتب السلم بينها حتى إن هيرود أنتيباس وهو ابن هيرود العظيم تزوّج ابنة ملك النبط غير أنه سرعان ما هجرها إلى هرودياس زوجة أخيه، فعادت الزوجة النبطية إلى أبيها الملك فعمل على القصاص من هيرود فتعكّر جو السلم ونشأت بينها منازعات عنيفة.

وفي سنة ٣٨ م. استولى حارثة الرابع على دمشق ويرجع أن Caligula قد منحها له كعربون للصداقة والسلم (Cooke ص ٢١٥) وظلت دمشق في أيدي النبط وتحت سلطانهم حتى سنة ٦٢ م. حيث نجد فيها نقوداً مصكوكة باسم نيرون عاهل الرومان وذلك في عهد مالك الثاني ملك النبط الذي حكم من سنة ٤٨ إلى سنة ٧١ م. ومن هذا التاريخ عمل الرومان على تفويض المملكة النبطية والقضاء عليها فأخذوا يرسلون إليها الحملات تلو الحملات حتى تغلب عليها حاكم سوريا Cornilins pālma وهزم ربيثل الثاني واستولى على سلع (بطرا) عاصمة النبط وضمها إلى المملكة الرومانية في سنة ١٠٦ م. وبسقوطها دالت الحكومة النبطية وتقوض عرش مملكة يقول عنها استرابون ما يلي:

يحكم سلع (بطرا) بعض الأفراد من العائلة المالكة وللملك وكيل يسمى (أخ) وهي محكومة حكماً منظماً للغاية، ومهما يكن من شيء فاثينودوروس وهو فيلسوف وزميل لي - وقد إلى مدينة السلعين - اعتاد أن يصف حكومتهم بالإعجاب، وكان يقول إنه وجد كثيراً من الرومانيين وغيرهم من الأجانب يعيشون هناك، وقد وجد كثيراً من الأجانب ما يقاضى بعضهم البعض أو يقاضون الوطنيين غير أنه لم ير وطنياً يقاضى وطنياً آخر بل الكل يعيشون دائماً في سلام ووفاق.

أسماء ملوك النبط المعروفين وتاريخ حكمهم

حارثة الأول	حكم سنة ١٦٩ ق. م.
هرثمة أوهرثم	حكم سنة ١٣٩ إلى سنة ١٠٠ ق. م.
حارثة الثاني	حكم سنة ٩٦ ق. م.
عبدت الأول	حكم سنة ٩٠ ق. م.

ربثيل الأول

هو ابن عبدت الأول حكم من سنة ٨٧ إلى ٦٢ ق.م.	حارثة الثالث
حكم من سنة ٦٢ إلى سنة ٦٠ ق.م.	عبدت الثاني
حكم من سنة ٦٠ إلى سنة ٢٨ ق.م.	مالك الأول
حكم من سنة ٢٨ إلى سنة ٩ ق.م.	عبدت الثالث
حكم من سنة ٩ ق.م. إلى سنة ٤٠ م.	حارثة الرابع
حكم من سنة ٤٨ م. إلى سنة ٧١ م.	مالك الثاني
حكم من سنة ٧١ م. إلى سنة ١٠٦ م.	ربثيل الثاني

لغتهم:

التبط قبائل عربية أغارت على بلاد آرامية فتحضرت بحضارتهم واستخدمت اللغة والكتابة الآرامية في النقوش وسائر الشئون العمرانية، ولكنها ظلت تتكلم وتستخدم اللغة العربية في شئونها وأحاديثها اليومية.

ونستدل على ذلك بما يلي:

١ - نجد في النقوش النبطية القديمة كلمات عربية مستخدمة عوضاً عن الكلمات الآرامية فنرى مثلاً:

- (أ) كلمة ولد مستعملة بدلاً من الكلمة الآرامية (يُلدا)
- (ب) كلمة ضريح مستخدمة عوضاً عن الكلمة الآرامية (قَبْرًا)
- (جـ) جثة مستخدمة عوضاً عن الكلمة الآرامية (فجرا)
- (د) شلو مستخدمة عوضاً عن الكلمة الآرامية (هَدَامَا)
- (هـ) رهن مستعملة عوضاً عن الكلمة الآرامية (يِرِف)

كما أننا نجد أنهم كانوا يستخدمون في نقوشهم كلمة (غير) التي لا توجد في

الآرامية ولا في غيرها من اللغات السامية عدا العربية.

٢ - وجود أثر النحو العربي في النقوش النبطية، فنرى مثلاً أنهم يستخدمون الفاء للترتيب كما في العربية تماماً مع أنها غير موجودة في الآرامية، ويستعملون الماضي في حالة الدعاء عوضاً عن المضارع فيقولون مثلاً: (لعن ذو الشرى) (اسم إله) على حين الآراميون يستخدمون المضارع في هذه الحالة.

ويستخدمون (مَن) بدلاً عن اسم الموصول الآرامي دى.

ونجد في الكتابات النبطية التي كتبت في القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد أن النبط كانوا يلحقون ياءً على آخر الأعلام المركبة تركيب إضافة كما كانوا يكتبونها في بعض الأحيان من غير ياء وذلك في الكتابات النبطية المتأخرة، أما الأعلام المسبوقة بلفظة (ير) وهى كلمة آرامية معناها ابن فإننا لانراها مكتوبةً بالياء مع أنها مجرورة بالإضافة إلى كلمة (بر) مثل: عبدويرجرمو، وإذا كان العلم مسبوقةً بلفظة (ابن) فإنه يختم بالواو أو الياء أو يجرّد منها مثل ابن القينواين القيني وابن القين (القين اسم علم).

وقد تساءل الأستاذ الدكتور ليمان بقوله: هل كان النبط يعرفون الإعراب كما يعرفه العرب، وهل كانوا يستخدمون حركات الإعراب الثلاثة كما يفعل العرب واختتم تساؤله بقوله:

من الجائز أن نقول إنه في وقت ليس يبعد عن كتابة النقوش النبطية كان النبط يعرفون حالتين من الإعراب:

الحالة الأولى: هى إطالة حركات الإعراب في الأسماء المجردة من الإضافة فتنتهى الأسماء والأعلام المنصرفة بالواو في حالة الرفع وبالألف في حالة النصب وبالياء في حالة الجر.

والحالة الثانية: تكون فيها حركات الإعراب قصيرة، وكانت لهم في هذه الحالة حركتان فقط هما الضمة والفتحة، أما الأسماء المضافة فتأخذ الضمة في حالة الرفع والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر والأمثلة على الحالتين، وعلى حالة الإضافة في حركات الإعراب الثلاثة هي كما يلي:

أعلام	أعلام منصرفة	أعلام	أعلام متنوعة
منصرفة	معرفة	مضافة	من الصرف
عبدو	العبدو	عبدُ	أنعمُ
عبدا	العبدا	عبدَ	أنعمَ
عبدى	العبدى	عبدِ	أنعمِ

ويقول الأستاذ ليمان بعد ذلك:

إن هذا بناء فرضي ولكنه يتفق اتفاقاً غريباً مع نهايات بعض الأعلام في اللغة العبرية، وقد يقال إن النبط لم يعرفوا مطلقاً التنوين ولا التميم لأنهم لو كانوا عرفوها لوضعوا نوناً في نهاية الأعلام والأسماء المنصرفة كما ينطق العرب تلك الأعلام أو لختموها بالميم كما كان يفعل العرب الجنوبيون أو أهل اليمن القدماء، وبعد أن استعرض الكتابات النبطية المكتوبة باليونانية قال: إن النبط كانوا كالعرب الآخرين يعرفون علامات الإعراب الثلاثة، وأنهم كانوا يطيلونها عندما تجرد الأسماء من الإضافة، وضاعت تلك الحركات في ثايا التاريخ عندما نسي النبط استخدام هذه الحركات استخداماً صحيحاً.

واختفاء تلك الحركات وبخاصة الواو يمكن مقارنتها بحقيقة في المصرية القديمة، حيث إن الواو تكتب فقط في الإمبراطورية القديمة، وسرعان

ما استخدمت الأسماء من غير الحركات النهائية، ومع أن تفصيلات تلك التطورات اللغوية غير معروفة لدينا الآن وليس في الاستطاعة معرفتها معرفةً يقينية، ومع أنه من المحقق أن في الحالة الأخيرة للكتابة النبطية كانت الواو تكتب ولا تنطق فإننا لا نستطيع أن نتحقق من أن الواو كانت تنطق في زمن كتابة النقوش النبطية، ولكن مع ذلك فمن الجائز أن نقول إن عدم اطراد القاعدة أو اختلاف الصيغ التي نشاهدها في النقوش قد ترجع إلى اختلاف لهجات القبائل العربية التي كان يتكون منها الشعب النبطي أكثر مما ترجع إلى اختلاف الزمن.

وما ذكرناه هو رأى الأستاذ ليمان في تعليل وجود الواو والياء في نهاية الأعلام والأسماء النبطية، وجوابنا على هذا الرأى الذى يقول إن الواو كانت تكتب ولا تنطق أنه على ما يظهر - متأثر بلفظة عمرو في اللغة العربية المكتوبة بالواو التي لا تنطق، وقد قال الدكتور نولدكه أستاذ ليمان إن هذه الواو الملحقة على الأسماء والأعلام النبطية هي علامة التنوين التي تدل على الأسماء والأعلام المنصرفة، كما قال بعضهم إن هذه الواو هي عبارة عن نهاية صوتية لحقت الأعلام المركبة عند ترخيمها أى أن الاسم (زيدو) لحقته الواو لأنه رخم من العلم المركب زيدايلاً مثلاً، وهو في ذلك يشبه (عبدو) في كثير من اللهجات العربية الحديثة فهو ترخيم العلم المركب عبد الله.

ومهما يكن من أمر فالقول إن الواو والياء الموجودة في نهاية الأعلام والأسماء النبطية هي من بقايا إطالة حركات الإعراب، وأن وجود الشواذ في الكتابات النبطية قد يرجع إلى اختلاف لهجات القبائل التي يتكون منها الشعب النبطي أكثر مما ترجع إلى اختلاف الزمن، هو قول حسن ورأى متقبّل وبخاصة أننا نجد نظيره في اللهجات العربية إذ يقول سيبويه في الجزء الثانى من كتابه ص ٢٧١ مايلي:

وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون: هذا زيدوهذا عمرو ومررت
 يزيدى ويعمرى جعلوه قياساً واحداً فأثبتوا الواو والياء كما أثبتوا الألف، ومن
 الجائز أن نعلل عدم إشباع فتحة النصب وعدم اطراد قاعدة إشباع الواو والياء في
 بعض الأعلام والأسماء النبطية واختلاط بعضها ببعض إلى أن النبط كانوا
 يعرفون الإعراب، وأنهم كانوا يشيعون حركات الإعراب أيضاً كما كان يفعل أزد
 السراة. فلما اختلط النبط بالآراميين واختلطت لغتهم العربية باللغة الآرامية
 عجمت ألسنتهم ونسوا الإعراب، وضاعت علاماته ودلالاته المعنوية بين حروف
 الإعراب ولم يستطيعوا أن يميزوا بين واو الرفع وياء الجر فخلطوا بينها، أما حذف
 الواو والياء والألف من بعض الأعلام التي نشاهدها في الكتابات النبطية فمرجه
 إلى بعض القبائل النبطية التي كانت لا تطيل حركات الإعراب ومثلهم في ذلك
 مثل أزد السراة.

المراجع

- 1 - Enno Littmann: Nabataean Inscriptions from Southern Hauran.
 Leyden,
 Brill 1914.
- 2 - J. Cantineau: Le Nabatéen Paris, 1930.